

مدخل إلى تطوير المقررات الدراسية وأساليب التدريس التفاعلي

اعداد شارلز روبرت ديفيدسون

تطوير المقررات الدراسية

ما هي أهميته؟

اثنين من نقاط الضعف الأساسية للتعليم القانوني في مصر ١ - التصميم التقليدي للمقررات، ٢ - الاعتماد الشديد على نماذج التدريس التقليدية (أي محاضرة). أحد الأهداف الرئيسية لهذا التدريب الخاص بأساتذة القانون الجدد هو تعرضهم لأسس تطوير المناهج الدراسية وأساليب التدريس التفاعلية. إن تطوير المقررات الدراسية هو بمثابة عملية متعددة المراحل من شأنها مساعدة المعلمين على تهيئة بيئات للتعلم تعزز من الارتقاء بمستوى الطالب على المستويات الفكرية والمهنية والشخصية. ومن المهم هنا التأكيد على أن تطوير المقررات الدراسية (أو تصميم المقررات الدراسية كما يُطلق عليه أيضاً) يعتبر بمثابة عملية أي سلسلة من الأنشطة المتميزة تؤدي في نهاية المطاف إلى الخروج بمنتج معين (أي مُقرر دراسي أو خطة لأحد المواد). ويساعد تطوير المقررات الدراسية المعلمين في "ترجمة العبارات المعبرة بصفة عامة عن النوايا إلى خطط وإجراءات محددة" وذلك من أجل تدريس مادة ما. والجدير بالذكر أن وجود مثل هذه الأهداف المحددة إنما يمثل خارطة طريق أمام المعلمين والطلاب حيث يسمح لكافة الأطراف بأن تعي ما سوف يُدرس من محتوى ومهارات وكيف ولماذا ستُدرس، كما يصير المعلمون قادرين على التوضيح لأنفسهم وكذلك للطلاب الأهداف المحددة الموضوعية لمادة أو لدرس ما ولاسيما أساليب التدريس التي سيتم استخدامها لتوصيل المادة التعليمية. وحيثما توضح مثل هذه الأهداف بشكل دقيق ومتواصل، يستطيع المدرس عندئذ أن يعرف بشكل واضح ومنطقي الاتجاه العام للصف الدراسي (أو المادة) منذ البداية. بل وفي المقابل يستطيع الطلاب بسهولة معرفة المتوقع منهم تعلمه ولماذا تُدرس هذه المادة التعليمية بعينها وكيف سيتم تدريسها وكيف سيتم تقييمهم في ما اكتسبوه من معارف وقدرات على تطبيقها. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في مادة مُصممة على النحو الأمثل يكتسب الطلاب دراية بمدى ارتباط المادة التعليمية بتطورهم الأكاديمي والمهني وبكيفية إدماج مثل هذه المادة التعليمية في مجريات حياتهم اليومية.

إن الحاجة إلى مقررات دراسية مُصممة على أكمل وجه يعتبر أمر غاية في الأهمية وينطبق ذلك خصوصاً على المجالات المهنية (مثل القانون والطب والصيدلة ... الخ) حيث يكون من المتوقع من الخريجين أن يتمتعوا بالكفاءة النظرية والعملية في تلك المجالات. على سبيل المثال لم يعد من الكافي لخريجي الحقوق أن يتمتعوا فقط بالمعرفة النظرية المتعلقة بالموضوعات الهامة أو التدريب المكثف على موضوعات لا تعتبر وثيقة الصلة باقتصاد سوق القرن الواحد وعشرين. فإن سوق العمل القانوني يتطلب محامين ممن لديهم مجموعة من المهارات التي تتماشى واحتياجات السوق ومن ثم يتضرر على نحو بالغ المحامون غير القادرين على إظهار نوع من المعرفة ذات الصلة أو كفاءة مهنية عملية في سوق يتصف بالمنافسة الضارية، بل ومما له المزيد من الأهمية إخفاق كليات الحقوق في تخريج من يتمتعوا بالكفاءة في مهارات المحاماة الأساسية مثل المرافعة الشفهية والتحليل القانوني والاستدلال القانوني وهو الأمر الذي يترك أثراً سلبياً على عملية التنمية وعلى تعزيز سيادة القانون. ويعتبر المحامي المدرب تدريباً جيداً والقادر على

إجراء التحليل النقدي والماهر في الترافع (سواء عن عملاء أو قضايا مثل قضايا حقوق الإنسان) والمتدرب على السلوك المهني الأخلاقي والذي يحترم سيادة القانون بمثابة فاعل رئيسي في الحياة العامة للمجتمعات الديمقراطية. لهذا فإن تطوير المقررات الدراسية ليس تمريناً أكاديمياً محض أو شكلاً مظهرياً "لجامعة أو أستاذ ما، بل إنها المحرك الأول والأهم لضمان حصول طلاب الحقوق على نوع من التدريس له صفة الاتساق والاتصال بما يجري والذي سيخدمهم في حياتهم الشخصية والمهنية. كما أنه وسيلة لتشكيل قانونيين مهرة وذوي كفاءة ممن يعوا أدوارهم كمحامين ومستشارين ومُحكّمين في مجتمعات ديمقراطية.

عملية تطوير المقررات الدراسية

كما هو مشار إليه أعلاه فإن تطوير المقررات الدراسية (سواء وضع مادة جديدة أو تحديث مادة قائمة بالفعل) هو بمثابة عملية تتكون من خطوات عديدة. وبينما ستتفاوت الخطوات المحددة الواجب اتخاذها بناءً على المادة الخاضعة للتطوير أو التحديث، والوقت والموارد المتوفرة، واحتياجات الطلاب وغيرها من المتغيرات الأخرى إلا أنه يوجد عدد من الخطوات التي تنير الطريق أمام غالبية نُهج تطوير المقررات الدراسية. تتضمن الخطوات الرئيسية كل من ١ - تقييم احتياجات الدارسين المستهدفين، ٢ - والتخطيط، ٣- وصياغة المحتوى الدراسي (تحديد الأهداف والمستهدفات القابلة للقياس/ الإستراتيجيات التعليمية ... إلخ)، ٤- والتجربة والمراجعة، ٥- وإتمام المقرر الدراسي.

فيما يلي وصف أكثر تفصيلاً لهذه الخطوات:

● **تقييم الاحتياجات:** تلك هي المرحلة التي تخضع فيها احتياجات الطلاب التعليمية إلى التقييم. يجب أن تضم مرحلة تقييم الاحتياجات مجموعة متنوعة من الأطراف المعنية منهم المهنيين والإداريين وغيرهم. كما أن معرفة الأهداف والمستهدفات ومدى الارتباط الفكري والمهني للمادة تعتبر من الأمور الهامة حيث أنها ستعكس على اختيار المحتوى التعليمي وأساليب التعلم المستخدمة. وهذه المرحلة أيضاً هي المرحلة التي تخضع فيها الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالمادة وبتوقعات الطلاب والأساتذة للفحص بشكل دقيق وشامل. ويوجه الاهتمام في هذه المرحلة إلى تحديد الغرض من المادة (لماذا ترتبط هذه المادة بالمحتوى المعرفي للطلاب؟ ولماذا تعتبر هذه المادة وثيقة الصلة بتطور الطلاب المهني؟) وما هو المتوقع أن يستقيده الطلاب من هذه المادة (أي المخرجات المتوقعة ومنها على سبيل المثال معارف موضوعية أو مهارات محددة ومدى ارتباطها بالتطور المهني للطلاب).

● **التخطيط:** تعتبر مرحلة التخطيط جزءاً هاماً في عملية تطوير المقررات الدراسية حيث أنه في هذه المرحلة يتولى الأستاذ - بالتعاون مع غيره من الأساتذة والخبراء والإداريين في الحالة المثلى- دراسة المحتوى الذي سيخضع للتطوير في ضوء النتائج المستخلصة من تقييم الاحتياجات. وسوف تعتمد مدة مرحلة التخطيط على عدد الأطراف المشتركة، وعلى كم المواد العلمية التي بحاجة إلى الإعداد، وعلى مدى معرفة صانعي الخطة بموضوع البحث وغيرها من

العوامل الأخرى. وعمومًا يجب على مرحلة التخطيط أن تسمح للمعلمين بتوضيح المخرجات المتوقعة، وتحديد التدفق الكلي للمحتوى الموضوعي للمادة فضلًا عن أساليب التدريس التي سيتم استخدامها لتوصيل هذا المحتوى التعليمي. وعلى النحو الأمثل يكون تصميم المادة عند هذه المرحلة موضوع بالشكل الموسع والكافي الذي يسمح بتحديد المخطط التفصيلي الذي يعكس الموضوعات التي سيتم تدريسها، والأساليب التي سيتم استخدامها، والمستهدفات الخاصة بكل جزء من أجزاء الموضوع (مثلًا "في نهاية هذا الجزء سيكون الطالب على دراية بالعناصر الأساسية الخاصة بقانون المعاهدات ألا وهي ...) وأخيرًا سُبُل التقييم لتحديد استيفاء المستهدفات من عدمه.

● **صياغة المحتوى الدراسي:** يعتبر هذا الجزء لب عملية تطوير المقررات الدراسية. فمن الممكن البناء على المخطط العام الموضوع أثناء مرحلة التخطيط بل ومن الممكن إضافة المزيد من التفاصيل إليه. علاوة على ما سبق يتم التوسع في المستهدفات المحددة لكل مادة (أو موضوع) كما يتم تحديد محتوى موضوعي لكل مجال علمي وفي ذات الحين يتم انتقاء استراتيجيات محددة للتدريس وتنقيحها. وخلال هذه المرحلة تتم صياغة خطة لكل صف دراسي (خطط الدرس) واختيار أو كتابة المادة العلمية التي تتناسب مع استخدام الطلاب. والجدير بالذكر أن صياغة المحتوى يعتبر من أكثر أجزاء العملية استخداماً للموارد البشرية. وبنهاية هذه الخطوة نخلص إلى مسودة قابلة للتطبيق للمقرر الدراسي.

● **التجربة:** من الممكن توزيع مسودة المقرر الدراسي على مستوى الأقران والمستويات الإدارية للحصول على الآراء والمشورة بصدها. وبمجرد استيعاب التغذية الراجعة ودمجها والحصول على الموافقة الإدارية بشأنها عندئذ من الممكن تجربة المقرر داخل الصف الدراسي. إن عملية التجربة تسمح للمعلمين برؤية ما إذا كان المقرر المقترح موضوع بالشكل الدقيق الذي تتحقق من خلاله المستهدفات المحددة للتعلم أم لا. بالإضافة إلى ذلك يجب إيلاء اهتمام بالأشكال المتنوعة للمدخلات والتغذية الراجعة والتقييم تأكيداً لمدى فاعلية المقرر الدراسي المقترح. وتعتبر عملية التجربة هي المحرك وراء التدبير النقدي في أمر المستهدفات والأساليب والوسائل المختارة لتوصيل المحتوى الدراسي إلى الجمهور المستهدف. وإن النتائج المستخلصة من هذا التدبير النقدي سوف توضح التعديلات المطلوب إضافتها قبل الإقرار الرسمي للمقرر الدراسي.

● **إتمام المقرر الدراسي:** تمثل هذه المرحلة ذروة عملية التطوير حيث أنه بالوصول إلى هذه المرحلة يكون المقرر الدراسي قد مر بمراجعات بعد إجراء التجربة الأولية له مع احتواء النسخة النهائية على التغييرات المطلوبة. يعتبر المقرر الدراسي النهائي هو الخطة الكاملة المصممة للمادة حيث يجب لهذا المقرر أن يوفر خريطة واضحة للمادة. ويجب على المقرر الدراسي في شكله النهائي أن يوفر خطة شاملة يسهل الوصول إليها والتي من الممكن أن يتشارك فيها آخرون ممن يدرسون نفس الموضوع بمنتهى السهولة.

اعتبارات تتعلق بتطوير المقررات الدراسية

إن الخطوات الموضحة أعلاه توفر أسلوباً مفيداً وعملياً للتعامل مع مسألة تطوير المقررات الدراسية ولكن في ذات الوقت يعتبر أيضاً من المفيد إضفاء الطابع المفاهيمي الأعمق للعملية أي من المهم إدراك المسائل الكبرى التي تقع ضمن العملية وذلك لضمان فهم الصورة التربوية الأكبر للموضوع. فإنه ليس كافيًا معرفة كيفية تصميم مقرر دراسي لمادة دراسية (على الرغم من اعتبار ذلك مهارة جيدة بالطبع) بل على الشخص أن يعرف أسباب/اهمية القدرة على القيام بذلك. قد تساعد الأسئلة التالية في وضع إطار التفكير لهذه العملية:

- لماذا يتم تدريس هذه المجال/الموضوع؟ لماذا يلتزم الطلاب بدراسته؟
- ما الذي يجب على الطلاب معرفته عند الانتهاء من هذا الصف؟ ما هي الأفكار الرئيسية الواجب توصيلها إلى الطلاب؟
- ما هي الأمور المفترض أن يستطيع الطلاب القيام بها عند إتمام دراسة هذه المادة؟
- ما هي المهارات التي من الممكن تدريسها في هذه المادة؟ هل تقوم المادة بتدريس مهارات المحاماة (التحليل والاستدلال، والترافع، والبحث والكتابة أو أي منها) بشكل صريح أم ضمنى؟
- كيف يتسنى تدريس المادة العلمية بشكل أكثر تأثيراً؟ ما هي أفضل السبل التي تؤدي إلى اكتساب المهارات المهنية المرجوة والتطور الفكري؟
- ما هو التسلسل المنطقي للمادة الدراسية؟
- كيف تتماشى هذه المادة مع ما يقدم من مواد أخرى كثيرة؟ متى يجب فتح باب الالتحاق بها؟ كيف تبني على المهارات/ المعارف التي تم تحصيلها بالفعل؟ هل تبني الأساس لمواد أخرى؟